لي من الحقل العصافير

محمود علي السعيد

ليس لي بابٌ لأوصد قفله
ليس لي قبعةٌ أو معطفٌ
أو مدفأة
ربطةٌ للعنق من فوق القميص
خنجرٌ للطعن أو للإرتزاقْ
ليس لي من ساعد يشّتدُ
وقت الانطلاقْ
مخلب أنشبُ في الصدر المعشق
وشوشاتٌ من بصيص
مرتع فوق الجبلْ
نجمةٌ أو باقةٌ أو مجمرة
ليس لي وجهٌ جميلٌ
وبساطٌ من حريرْ
ليس لي المجذافُ يفلحُ
جسد البحر الورقْ
ولجامٌ يمسك الخيلَ
إذا شط المزارْ
غير أني
لي من الجرأة قنديلُ الإضاءة
ومن الحقل العصافيرُ
المجنحةُ
الهواءُ الطلقُ
ومن الجهات يسارها الدمويّ
(والحرية الحمراء
بكل يد مضرجة)
من تضاريس المدينة
ألصق الطبقات أرضاً
لي من تقاسيم الجماهير البسيطة

صرخة العمالِ
تصبغ ساعد الآلات بالعبقِ
الجميلْ
وقتما يجتز سيف العشقِ
سنبلة الجديلة
وتجنّ الشمس في وجه الغسقْ
دميَ احترقْ
لي من الوطن الجليلْ
(من أين تبتدىء القصيدة...؟) [1]
صاح رقمٌ
طارت الطلقةُ من أضلاعهِ
وفشت تجاعيدُ الهضابِ
مسيرةَ الأشجارِ
وانتفض الورقْ
دميَ احترقْ
الأفق رصّ على الجهاتِ
الخمس
ألهبَ مقلةَ الوديانِ
فارتجفت سواقي القمحِ
تقتنص المسافةْ
الأفق ضاقَ
ولم تزل عيناي تقذفُ
جمرةَ الآتي جواداً
خاض في مستنقع الكلماتِ
فانتعش الأرقْ
دميَ احترقْ

---

(١) عنوان مجموعة للصديق الشاعر مصطفى خضر.

وأنا أمجّد خضرة الزيتونِ
في حيفا
أجنّ على الشواطىء موجةً
لا تقبلُ الربانَ
يستعصي على أمواجها
لا تقبل السفنَ العقيمةَ
تشرع الطلقاتِ
في وجه الغرقْ
دميَ احترقْ
وتمر قافلةٌ من النفط المعتّق
ترفع بيرق التحريرِ
أصرخُ
يا جنودَ اللـهِ
أمسك قبلةَ الفقراء وحدي
لا أريد الله في نفطٍ
له وجهان
وجه ينقش الدولارَ
وجه تستقيم النقطةُ السوداءُ
في قرآنهِ
لا أريد الرقص ثوريّاً
على حبلٍ
له وجهان أيضاً
واحد يتقن كيف يمشي
اللـهُ فوق الماء
باسم حقيبة الفقراءْ
آخر يُسقط
في إناء الطبخ أحجاراً
فتشتعل الدماءْ
لا أريد الله نفطياً ولا . . .
لا أريد الله إن كان التملقُ
ـ واجهات الثورة الحمراء ـ
ثورياً
لا أريد الله إلّا الله
صاحبَ موقف أحدٍ
يساراً في حقول النفطِ
أقبلهُ
يساراً في حقول الرفضِ
أعشقهُ
يساراً إذا ما ضجت الجبهاتُ
بالأسلاكِ
وانتفض المرابـي
لا أريد الله إلّا الله
في وطني
يسارياً يسارياً يسارياً

• • •

دميَ احترقْ
الرفض شيمتي الجديدةُ
أضعف الايمانِ
وقفتي الجديدةُ
أضعف الايمان
صرختي التي
قد لا تساوي قطرة
من حبر هذا العصر
تجتاح الورقْ
دميَ احترقْ
من ذا يرى فيكم من الأخطاءِ
واحدةً
فله اليدُ
من ذا يرى فيكم من الأخطاءِ
ثانيةً
فله الغدُ
من ذا يرى فيكم من الأخطاء
ثالثةً
فله التمردُ
والجنوح إلى جنونِ
الطلقة الخضراء
لا شوقاً إلى القتل الذي
يجتاح سفر اللـهِ
في أبنائهِ
عشقاً إلى الحريةِ
الحمراء
(بكل يد مضرجةٍ)
ليزدهر الوطنْ
يكفي من الجمراتِ في المقل
الشجنْ
دميَ احترقْ
وأنا أمجّد خضرة الزيتونِ
في حيفا
وأنتظرُ الألقْ
دميَ احترقْ